Université Frère Mentouri , Constantine
Laboratoire Traduction et Langues
N° Volume : 6 N° Numéro : 8 Type du numéro : Ordinaire

https://www.asjp.cerist.dz/revues/571

ترجمة التعابير الاصطلاحية في النص الأدبي

Translation of idiomatic expressions in the literary text

خطاب حياة

معهد الترجمة،الجزائر2، طالبة دكتورا علوم

تاريخ الإرسال 2021-01-07 تاريخ القبول 11-01-2021

ملخص:

تعدّ ترجمة التعابير الاصطلاحيّة عمليّة شاقّة ومعقّدة تفرض على المترجم أن لا يكتفي بالتحكّم في اللّغتين المنقولة والمنقول إليها ، بل تشترط عليه كذلك أن يتمتّع بحسّ ثقافي في اللّغتين معاً ، لما يصادفه المترجم من صعوبات ومعوّقات لسانيّة وميتالسانيّة قد تحول دون نقل كلّ المعاني والإيحاءات الموجودة في التّعبير الأصلي وتحقيق ذات التّأثير الذي يحقّقه الأصل في نفسيّة قارئ التّرجمة.

وسنحاول من خلال هذه المداخلة أن نعاين إشكاليّة رئيسيّة تتمثّل في مدى إمكانيّة ترجمة التّعابير الاصطلاحيّة في نص أدبي من اللّغة الفرنسيّة إلى اللّغة العربيّة . ويتفرّع من هذا الإشكال تساؤل لا يقلّ أهمّيّة وهو: إن كانت ترجمة التّعابير الاصطلاحيّة ممكنة، فما هو الأسلوب الأنسب لترجمتها؟

الكلمات المفتاحية:

الترجمة الأدبية- التعابير الاصطلاحية- التكافؤ- النسخ التعبيري-التلاعب بالألفاظ

Abstract:

Translating idiomatic expressions is a difficult and complicated process. It requires the translator not only to perfectly master the source language and the target language, but also to have a cultural sensitivity in both languages, taking into account the linguistic and metalinguistic difficulties and obstacles which hinder the transfer of all meanings and allusions that conveys the original expression and would fail to reproduce the same effect that arouses the original expression in the mind and the psyche of translation's reader.

Through this intervention, we will try to answer a main problem relating to the translatability of idiomatic expressions from French to Arabic in the literary text. From this problem arises a no less important question, in this case: if the idiomatic expressions are translatable, what would then be the most adequate translative process to do this?

Key words: literary translation-idiomatic expressions-equivalence- calque - wordplay

توطئة (مقدمة):

لكلّ لغة عبقريّة تميزها وموروث ثقافيّ يتجلّى في أساليب تعبير أبنائها عن أغراضهم المختلفة. فهي مرآة حضارة الشعوب وخلاصة تجاربهم عبر التاريخ. وتعدّ التّعابير الاصطلاحية ظاهرة لغويّة وثقافيّة موجودة في كافّة اللّغات ونمطاً تعبيريّاً خاصّاً يعكس تفكير أهلها بكلّ جوانبه الاجتماعيّة والثّقافية والنّفسية ويجسّد رؤيتهم للعالم، فهي تستمدّ عناصرها الدلالية من بيئتها الطبيعية ومعانيها من اتفاق الجماعة اللغويّة.

وتعتبر ترجمة هذا النّوع من التّعابير مهمّة شاقّة تفرض على المترجم الإلمام بمعارف ثقافية واسعة والتّمتّع بمخزون لغويّ وافر في كلّ من اللّغتين المنقولة والمنقول إليها وإلاّ كانت ترجمته باهتة بل وغريبة في كثير من الأحيان خاصة حين يتعلق الأمر بنص أدبي.

Université Frère Mentouri , Constantine
Laboratoire Traduction et Langues
N° Volume : 6 N° Numéro : 8 Type du numéro : Ordinaire

https://www.asjp.cerist.dz/revues/571

وأمام هذا النّوع من التّعابير، يجد المترجم نفسه حائراً بين مفهوم الأمانة لشكل النّص، أي الوفاء المطلق لتراكيب وأنماط النّص الأصل من خلال نقلها نقلاً حرفياً، وبين الأمانة لمضمونه، بمعنى التّحرّر من القيود التي تفرضها اللّغة المنقولة، والانصراف إلى نقل المعنى بصفته الأصل في التّرجمة وغايتها الأولى، ومخيّراً بين التضحية بالتّرجمة الإبداعيّة في سبيل الالتزام بعبقريّة لغة الانطلاق وشكل نصّها أو السّعي إلى إحداث ذات التّأثير الذي فعله النّص الأصلي بقارئه في نفسيّة قارئ الترجمة من خلال إعطاء ترجمته إيقاعاً متميّزاً يخرجها من الرّتابة ويضفي عليها السّلاسة والتّأثير. ومن هنا يتساءل: لماذا يجب ترجمة التعابير الاصطلاحية؟ ثم هل يجد كل تعبير اصطلاحي مكافئا له في ثقافة الغير ولغته؟ ولكن قبل أن نجيب على هذه الأسئلة وأخرى، كان لزاما علينا أن نتطرق ولو بإيجاز شديد إلى مفهوم التعبيرات الاصطلاحية و ماهيتها إذ "إنّ تحديد مفهوم المصطلحات، وتبيان معناها، هي من أولويات البحث العلمي، والغرض بطبيعة الحال، يتجلى في تمييز الحقائق و تعيين الحدود المعرفية" (المسدي،1981: 7)

1.مفهوم التعبير الاصطلاحي:

تعرّف معظم اللّغات التّعبير الاصطلاحي على أنّه ظاهرة لغويّة تعكس الخبرات الحياتيّة للإنسان عبر العصور، فهي تراكيب لغويّة تفوّه بها أشخاص معروفون أحياناً أو مجهولون في معظم الأحيان في مناسبات ومواقف معيّنة ترسّبت واستقرّت وشاع استعمالها بين أفراد اللّغة في مناسبات مشابهة لوضوحها ودقّتها وإصابتها المعنى المطلوب.

ولا تخلو أيّ لغة من ظاهرة التّعابير الاصطلاحيّة فهي تعدّ إحدى خصائص اللّغات الطّبيعيّة (غروس Gross،1996 :03) التي يعبّر من خلالها أهل اللّغة عن أفكارهم وأحاسيسهم تعبيراً يميّزهم عن باقي أبناء اللّغات الأخرى. وهي تمثّل إلى جانب الأمثال والحكم والأقوال السّائرة منتجاً اجتماعياً وثقافياً بالدّرجة الأولى لما تحمله من صبغة محلّية تعكس مستوى تفكير الجماعة اللغويّة وتصوّرها للعالم والأشياء وتحمل في طيّاتها عادات الجماعة اللغوية وثقافتها النّابعة عن بيئتها وطرق عيشها وتقاليدها المختلفة، وتكشف مظاهر حيّة من الاستخدام اللّغوي المتّصل بظروف حضاريّة وتاريخيّة وجغرافيّة خاصّة انصهرت في اللّغة وحفظتها المعاجم بكلّ ما تحمله من خصائص معنويّة وحقائق فكريّة.

واهتمّ العلماء العرب بهذا النّوع من التّعبيرات قديماً وحديثاً، فكانت محلّ بحث عدد من اللّغويّين والبلاغيّين من أمثال عبد القاهر الجرجاني(471هـ) الذي شرح في كتابه "دلائل الإعجاز" هذا النّوع من الجمل والتّراكيب شرحاً ينمّ عن إدراكه ماهيّة وخصائص التّعابير الاصطلاحيّة واستيعابه لها قائلاً:

> "أوّلا ترى أنّك إذا قلت "هو كثير رماد القدر"، أو قلت إنّه "طويل النّجاد" أو قلت في المرأة "نؤوم الضّحى" فإنّك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرّد اللّفظ ، ولكن يدلّ اللّفظ على معناه الّذي يوجبه ظاهره، ثمّ يعقل السّمع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانياً هو غرضك، كمعرفتك من كثير رماد القدر أنّه مضياف، ومن طويل النّجاد أنّه طويل القامة ومن نؤوم الضّحى في المرأة أنّها مترفة مخدومة لها ما يكفيها من أمرها". (الجرجاني نقلاً عن أبوسعد ،1987: 9 و10).

كما عرّف الدكتور أحمد مختار عمر(1993: 33) حديثا التّعبير الاصطلاحي كـ "عبارة لا يُفهم معناها الكلّي بمجرّد فهم معاني مفرداتها وضمّ هذه المعاني بعضها إلى بعض"، مضيفاً أنّه " كلّ التّعبيرات المكوّنة من تجمّع من الكلمات، يملك معنى حرفياً ومعنى غير حرفي، مثل التّعبير العربي: "ضرب كفّاً بكفّ" الّذي يحمل معنى تحيّر، والتّعبير الانجليزي "to spill the beans" الّذي يعني يوضّح أو يكشف.

وباختلاف وجهات النّظر، اختلفت التّسميات والمصطلحات التي أطلقت على هذه الظّاهرة عند الكثير من علماء اللّغة والمختصّين، وتعددت بين التّعابير المبتذلة و البالية والكلام المأثور والصّيغ المسكوكة والتّركيب المسكوك والتّعبيرات المعياريّة والتّعابير المثليّة والتّراكيب الثّابتة والعبارات الجاهزة والتّعابير الجامدة وغيرها من المصطلحات بلغ عددها ثمانية وأربعين مصطلحاً تدلّ جميعها على المفهوم ذاته (أبو زلال، 2005 :45) إلا أنها اتفقت جميعها أن التّعبير الاصطلاحي يعد وحدة لغويّة متكاملة لا تدخل ضمن النّمط اللّغوي العام ولا تخضع لأيّ نوع من أنواع التّغيير أو الحذف. فهي عبارة تتجاوز معناها الدّالة عليه

إلى معنى آخر يتحصّل بأساليب بلاغيّة مختلفة وتتضمّن عدداً كبيراً من الأقوال السائرة والعبارات المبتذلة و الأمثال وغيرها.

و تشير اللّغة الفرنسيّة إلى مفهوم الّتّعابير الاصطلاحيّة تحت مصطلحات عديدة نذكر منها مصطلحي figement وexpression figée حيث يعرّف دوبوا وآخرون (1994: 202) le figement كالتّالي:

« Le figement est le processus par lequel un groupe de mots dont les éléments sont libres devient une expression dont les éléments sont indissociables. Le figement se caractérise par la perte du sens propre des éléments constituants du groupe de mots, qui apparait alors comme une nouvelle unité lexicale, autonome et à sens complet, indépendant de ses composants ».

" التعبير الاصطلاحي عمليّة تصبح من خلالها مجموعة من الكلمات ذات عناصر حرّة تعبيراً ذا عناصر لا يمكن فصلها. و يتميّز التعبير الاصطلاحي بفقدان العناصر المكوّنة لهذه المجموعة من الكلمات لمعناها الحقيقي، والتي تبدو عندئذ كوحدة معجميّة جديدة، مستقلّة بذاتها ، ذات معنى تام ومستقلّ عن مكوّناتها"(ترجمتنا)

ومن أمثلته قولهم "prendre le taureau par les cornes" الذي يضرب لمواجهة الأمر بهمة وعزم ويقابله في لغتنا قولهم " شد للأمر حزامه" أي تشدد له واستعد".

ويقع le figement في أنماط كثيرة ومتنوعة يبلغ عددها 700 نوعا مختلفا (غروس، 1997: 203) منها ما هو غامض تماما le figement absolu مثل قولهم "un cordon-bleu " ومعناه "طباخ ماهر" أو "prendre une veste " بمعنى "تكبد خسارة" وفي اللغة العربية قولهم "كدم في غير مكدم" بمعنى "طلب حاجة لا تنال" أو "فلان كميش الإزار" أي أنه شخص جاد، ومنها ما يتيح قراءة أقل غموضا أو شفافة le semi figement أو le figement relatif كقولهم "doux comme un agneau" ويقابله في اللغة العربية "لين العريكة" أوقولهم "être vert de rage" بمعنى "استشاط غضبا".

و وعلى غرار الوحدات المعجميّة البسيطة، نجد التّعابير الاصطلاحيّة في مختلف مستويات الكلام les niveaux de langue أو ما يطلق عليه اللّغويّون تسمية السّجلاّت اللّغويّة les registres de langue ، فمنها ما هو فصيح كقولهم: "لا يشقّ له غبار" بمعنى "لا يضاهيه أحد" وقولهم " يعرف من أين تؤكل الكتف"بمعنى أنّه ذو دهاء وخبرة ومثله في الفرنسية قولهم "Se tailler la part du lion"ويقابله بالعربية "أخذ حصّة الأسد" ومعناه أن يستأثر الشّخص بأفضل حصّة، و " Faire comme les moutons de panugre" ويقابله "أخذ بصوف قفاه"(الزّمخشري،1998: 564) ومعناه أن ينقاد الشّخص دون تفكير مثل قطيع الغنم. ومنها كذلك ما هو ذو مستوى شائع ، عامي أو مبتذل كقولهم "ابن الوزّ عوّام" ومعناه أنّ الابن يكون عادةً شبيهاً بالفطرة بأبيه وأنه يشاركه الكثير من الصّفات أو قولهم "رجله والقبر" ومعناه أنّه مريض جدّاً ويوشك أن يموت، ويقابله في اللّغة الفرنسيّة التعبير العامّي "avoir un pied dans la tombe ". وفي هذا المجال، تجدر الإشارة أنه لا يجوز نقل هذا النّوع من التّعابير إلى تعابير ذات سجل مغاير لأنّ مستواها اللغوي جزء من معناها وإن إحداث أي تغيير فيه يفقدها ظلال المعاني والتضمينات التي تحملها والإيحاءات التي أرادها قائلها . (غزالة ،2004 :24)

وللتّعابير الاصطلاحيّة مصدرين أوّلهما تراثيّ قديم اختلف أصله من تعبيرات مأخوذة من القرآن و الحديث النبوي الشريف أو من الشعر و الأمثال والأقوال التي تواضع عليها السلف والثّاني معاصر يختلف عن سابقه باختلاف سبل وأسباب معيشة الإنسان وتطوّرها، فمنها المأخوذة من مجال الرياضة والألعاب ومنها ما مصدرها طبي أو علمي أو عسكري، إلخ.. ومنها ما تسرّب من وإلى اللّغات الأجنبيّة بفعل التّرجمة .

2. توظيف التعابير الاصطلاحية:

لا تنحصر التّعابير الاصطلاحية داخل الكتب والمعاجم ، بل تتفاعل خارجها وتجري على ألسنة المتكلّمين لما لها من نفوذ وسلطان على النّفوس. ويلجأ الناس عادة إلى هذا النّوع من التّعابير وأشباهها لأمرين:

أوّلاً: ليزيّنوا به كلامهم أو ليضفوا عليه عنصر القوّة والتّأثير، ببنائه على صور من شأنها أن تزيد في شحنة المعاني التي يمكن أن تحملها تراكيبه وعباراته مثل قولهم "حلب فلان بالسّاعد الأشد" أي استعان بمن يقوم بأمره ويعنى بحاجته، أو "فلان يحاول أن يطيّن عين الشّمس" أي أنّه يحاول ستر الحقّ الجليّ الواضح (أبو سعد،1987: 07) أو قولهم في اللغة الفرنسية: "c'est un vrai moulin à parole " أو "Il jacasse comme une pie" لوصف شخص كثير الكلام ويقابله في لغتنا قولهم "إنّه أحكى من قرد".

ثانياً: ليتلطّفوا في الحديث ويتأدّبوا في المشافهة، فلا يذكروا الشيء باسمه تجنبا للكلمات المؤلمة أو الجارحة للشعور أو الّتي يتطيّر منها كقولهم "قضى نحبه" و"قضى قضاؤه" و"أتت عليه القاضية" و"انتقل إلى الرفيق الأعلى" للحديث عن الوفاة.

وعلاوه على ذلك، كثيرا ما نجد التعابير الاصطلاحية في قلب التّلاعب بالألفاظ les jeux de mots حيث يعتمد هذا الأخير على استخدام تعبيرات اصطلاحيّة تسمح بقراءة مزدوجة، أي أنّه يمدّ جسراً بين التّأويلين المحتملين للصّيغة التّعبيريّة بغرض شدّ انتباه المتلقّي والتّأثير عليه. ويكمن هذا التّلاعب بالألفاظ الذي يقوم على أساس تعابير اصطلاحيّة في كونه متعلّقاً أساساً بمدلول أو مدلولات التّعبير، على خلاف معظم التّلاعبات اللّفظيّة الأخرى التي تخصّ الدّال، من خلال إحداث تغيير في الأصوات، الحروف، القوافي أو غيرها. ونذكر على سبيل المثال قولهم : "Il ya anguille sous rock" بدلاً من roche للحديث عن نشوء ظاهرة موسيقيّة جديدة. أو قولهم ضمن إشهار طبّي عن جهاز سمعي : " écoutez une idée et un jour elle vous mettra la puce à l'oreille " حيث تمّ الانتقال في التّعبير "mettre la puce à l'oreille" من معناه الاصطلاحي(بمعنى أيقظ شكوكه) إلى معناه الحرفي (وضع شريحة في أذنه).

وقد قام المتكلّم في هاتين الحالتين بتفجير البنية الجامدة والمغلقة للتّعبير وتكييفها مع السّياق من أجل إبراز معناها الحرفي sens littéral، المستتر تحت غطاء مدلولها الاصطلاحي. وبهذا تم رفع الجمود défigement عن بنية التّعبير التي ترسّبت بفعل الزّمن والتّقليد وتحوّلت لتعطينا مدلولات مزدوجة تتفاعل غالباً مع الخطاب المحيط بها.

وإذا كانت وظائف التّعابير الاصطلاحيّة التي سبق ذكرها تنطبق على مختلف أنواع النّصوص عموماً (نصوص إشهاريّة، صحفيّة وغيرها...)، فإنّها في النّصوص الأدبيّة تأخذ أبعاداً جديدة وتحقّق رهانات متعلّقة بطبيعة الخطاب الأدبي ذاته.

3. التعابير الاصطلاحية في النص الأدبي ووظائفها:

لطالما اعتبرت التعابير الاصطلاحية منذ القدم كعبارات مبتذلة أو صيغ تفتقر إلى الإبداع والذاتية ينبغي الابتعاد عنها في الأدب عموما والخطاب الأدبي على وجه الخصوص باعتباره مجالاً إبداعيا بالدرجة الأولى يلزم فيه الكاتب بابتكار أساليب تعبيرية جديدة تعكس ذاتيته الإبداعية وفضاء تجديدياً يثري اللغة بوسائل تعبيرية وبلاغية جديدة. وأحسن مثال على ذلك " معجم الأفكار المسبقة" « Dictionnaire des idées reçues » (1899) الذي ألّفه قوستاف فلوبير Gustave flaubert وكتاب "فنّ الكتابة" « L'art d'écrire » (1913) من تأليف أنطوان ألبالات Antoine Albalat حيث ينصح الكاتبان بالابتعاد عن الكليشيهات والتّعبيرات القديمة المبتذلة التي يستعملها العوام باعتبار أنّها تنمّ عن الكسل الأدبي للمؤلّف واعتماده بذل أقلّ جهد ممكن من خلال توظيف جمل جاهزة تغنيه عن صياغة أفكاره الشّخصيّة. (كابرا، 2011) [على الخط]

ومع ذلك فإنّنا نرى أنّ الواقع يثبت غير ذلك، لأنّ جميع الأصناف الأدبيّة تستخدم اليوم وبقوّة هذه التعبيرات على اختلاف مستوياتها اللغوية، خاصّة مع التّطوّرات التي عرفها التّعبير الأدبي خلال القرن الماضي والأهميّة التي أضحت تكتسيها التّعابير الاصطلاحيّة في الخطاب الأدبي، ذلك أنها تعبيرات تقليدية اكتسبت بمرور الزّمن ظلالاً وأبعاداً خفيّة وشحنة معنويّة charge sémantique، جعلتها أشدّ وقعاً وأبلغ تأثيراً في الخطاب من الكلام العادي. وزيادة على ذلك، فهي تحمل في طيّاتها قيماً ثقافيّة وعاطفيّة واجتماعيّة بالغة تمكّن من إثراء الأساليب التّعبيريّة للمتكلّم.

ولابد من الإشارة إلى أنّ توظيف التّعابير الاصطلاحيّة في الخطاب الأدبي يعتبر ركيزة أساسيّة في عمليّة إنتاج الخطاب، باعتبار أنّ كلّ نصّ موجّه لمتلقّيه يعدّ خطاباً. وهي وسيلة فعّالة لإبراز مكانة الرّاوي le narrateur وموقفه من القصّة سواء أكان جزءاً منها أو خارجاً عنها. فبالفعل، يستغلّ الكتّاب القدرات التّعبيرية للتّعابير الاصطلاحيّة لأعراض دقيقة تخصّ مختلف أصوات القصّة أو الخطاب (المصدر نفسه) كأن يقدم الكاتب مثلا على استخدام تعبيرات اصطلاحية ذات سجلّ لغويّ شعبي، مبتذل أو بذيء على لسان إحدى شخصيّات روايته بغية إضافة قرائن وإشارات حول بيئتها والطّبقة الاجتماعيّة التي تنتمي إليها أو عملها بل وحتّى مزاجها وطبعها وطريقة تعاملها مع الآخرين. وعليه، يمكن تلخيص الاستراتيجيات القائمة على أساس التّعابير الاصطلاحيّة في النّصّ الأدبي كما يلي:

أوّلا، الاستراتيجيّة الحجاجيّة la stratégie argumentative، التي تهدف إلى تحقيق استجابة القارئ. إذ يحقّق التّعبير مفعوله بفضل شيوعه وتعوّد المتلقّي على سماعه، ويحظى باستجابة هذا الأخير لأنّه يشير إلى مفاهيم معروفة تتقاسمها كلّ أطياف المجموعة اللّغويّة. فتتحقّق هذه الإستراتيجية من خلال طمس الصّوت الشّخصي وإحلال صوت خارجي في محلّه. إنّه صوت التّقاليد la voix de la tradition أو التّراث اللّغوي المشترك.

ثانياً، الإستراتيجية التّمثيلية la stratégie représentative، التي تقوم على أساس البُنى المرجعيّة les constructions de référence والتي تعطي من خلال توظيف العنصر الاصطلاحي انطباعاً صادقاً، أو نوعاً من الشّفافيّة الزّائفة. ففي هذا السّياق، يتحوّل التّعبير الاصطلاحي إلى وسيلة مشابهة للحقيقة ضمن أدب واقعي يسعى إلى تصوير العالم بأمانة بالغة.(المصدر نفسه)

وتشترك الإستراتيجيتان اللّتان سبق ذكرهما في سعيهما الحثيث إلى تقليص المسافة بين النّص وقارئه، وهذا عبر تمثيل تراث المجموعة اللّغويّة بما فيه من تراث تاريخي وجغرافي وثقافي وأدبي من خلال كليشيهات، ومقولبات stéréotypes وتعابير اصطلاحيّة، وغيرها وهذا ما يؤدي بنا إلى ضرورة ترجمتها وتجنب إغفالها.

4. ترجمة التعابير الاصطلاحية:

تعد التّعابير الاصطلاحيّة أحسن شاهد على مدى تأثّر اللّغة وأساليبها التّعبيريّة بتاريخ النّاطقين بها وبتراثهم الثّقافي، ما يجعلها من أشقّ وأصعب العقبات التي يواجهها المترجم لأنّه مطالب بنقل خصوصيّات التّعبير اللّسانيّة والميتالسانيّة (من موقف وسياق اجتماعي وثقافي) وكلّ ما توحي إليه من تضمينات وأحكام قيمة وإشارات عن المصدر الجغرافي و المستوى اللّغوي المحيط بها وغيرها... فلكل التّعابير الاصطلاحيّة معان تضمينيّة des sens connotatifs تكمّل معناها الإحالي le sens référenciel وتثريه.

وفي حين أنّ من الباحثين من يجزم باستحالة ترجمة التّعابير الاصطلاحيّة ، ترى فئة أخرى أنّ كلّ شيء قابل للتّرجمة على غرار نايدا وتابر (1969: 1) إذ يريان أنّ الهدف الرّئيسي للتّرجمة هو إحداث "التّأثير المكافئ" أي أنّه على المترجم أنّ يحدث في قارئه أثراً موازياً للأثر الذي أحدثه المؤلّف الأصلي في قرّائه الأصليّين.

وفي ذات السياق، تشير كريستين دوريو Christine Durieux (2008: 324) [على الخط] أنّ التّصدّي لترجمة نصّ يحتوي على تعابير اصطلاحيّة يضع المترجم، في مرحلة أولى، أمام إشكاليّة مزدوجة. أوّلاً: إشكاليّة التّعرّف على التّعبير الاصطلاحي و الإحاطة بمعناه، ثم إشكالية ترجمته. وهنا يعالج المترجم التّعابير الاصطلاحيّة بالطّريقة ذاتها التي تتمّ بها معالجة الوحدات المعجميّة البسيطة، أي أنّه يعيد صياغة معنى التّعبير ككلّ في لغة الوصول مع محاولة تحقيق نفس التّأثير الذي يصبو إليه في النّص الأصل.

وتلتقي هذه الآراء مع مبادئ النظريّة التّأويليّة la théorie interprétative التي جاءت بها مدرسة باريس على يد كلّ من ماريان لوديرار Marianne Lederer ودانيكا سيليسكوفيتش Danica Seleskovitch (1984). فهي تضع المعنى في الصّدارة بحيث يكون تأويله ومن ثمّ نقله إلى اللّغة الهدف أصل عمليّة التّرجمة وغايتها الأولى، وتقوم على أساس فهم ما وراء الألفاظ ثمّ التّعبير عن معنى منعتق من الشّكل اللّغوي.

وعلى غرار معظم أهل الاختصاص، يقدّم ماجري (2008 :249) [على الخط] ، ، اقتراحات من شأنها الخروج بترجمة مرضية وبأقلّ خسارة ممكنة. يتمثّل الاقتراح الأوّل في البحث عن المكافئات المحتملة للتّعبير في اللّغة الهدف. وتضمن هذه العمليّة وفقاً له، الانتقال من لغة إلى أخرى مع الاحتفاظ بأكبر قدر من معاني التّعبير. ونذكر على سبيل المثال قولهم: "نفض يديه من الأمر" في مقابل " s'en laver les mains" أو قولهم "أبدى ناجذه" في مقابل "montrer les crocs" وهنا نلاحظ تطابق أشكال وبُنى وألفاظ التّعبيرين الأصلي والمترجم تطابقاً كلّيّاً فنقول أن المقابل تام correspondant total. ويمكن أن يكون المقابل جزئيا correspondant partiel عندما تتخلّله بعض الاختلافات الطّفيفة بحيث يعبّر التّعبير الأصلي وما يقابله عن التّصوّر ذاته مع اختلافات جزئيّة في الشّكل أو الصّورة التّمثيليّة. ومن أمثلته قولهم: "من أجل سواد عينيه" في مقابل"pour ses beaux yeux" (بمعنى "حبا فيه" أو "من أجل حبه") بحيث يكمن الاختلاف هنا في الفئات النّحويّة المستعملة. فنرى أنّ اللّغة العربيّة توظّف المصدر "السّواد" في مقابل الصفة " beaux" في اللّغة الفرنسيّة، لما يمثّله سواد العينين من جمال في الثّقافة العربيّة.

وفي حال غياب المطابقات أو المكافئات للتّعابير الاصطلاحيّة الأصليّة في لغة الوصول، يمكن للمترجم أن يسدّ هذا العجز من خلال توظيف الوسائل الأخرى التي توفّرها اللّغة وهذا باستغلال التّصوّر الذي يقدّمه الخطاب كأن يلجأ مثلا إلى الجمل الشّارحة les paraphrases للتّعبير عن تصوّره لما هو اصطلاحي وجامد في لغة الانطلاق.

ومع ذلك يقول ماجري أنّنا إذا استثنينا المكافئات التّعبيريّة، فإنّ نقل التّعابير الاصطلاحيّة من لغة إلى أخرى يتم عبر فقدان نسبة هامّة من المعاني وأنّ الحلول المقترحة حيال هذا الفقدان تبقى غير واضحة تماماً (المرجع نفسه).

ولكن على الرغم من أن طبيعة التّعابير الاصطلاحيّة و خواصها أدّت بالمهتميّن بمجال ترجمتها إلى الابتعاد عن الحرفيّة والقول بأنّ أسلوب التّكافؤ هو أفضل وأنجع الحلول لترجمتها، إلا أنّ نوع النّص له هو الآخر دور في تحديد كيفيّة التّعامل مع ترجمة هذا النوع من التعبيرات. فإذا كان أسلوب التّكافؤ هو الأفضل والأنجع لترجمة التعابير الاصطلاحية في النّص غير الأدبي عموما (العلمي، الصّحفي ..) ذي الهدف التعليمي أو الإخباري حيث يسود الوضوح والدّقّة، فإنّ ترجمتها في النّصوص الأدبيّة وشبه الأدبيّة paralittéraire كالأغنية والقصّة المصوّرة لا تزال محلّ جدال (كابرا ،2011) [على الخط].

1.4. ترجمة التعابير الاصطلاحية في النص الأدبي:

يختلف النص الأدبي في لغته ومحتواه كل البعد عن لغة النصوص غير الأدبية، ويجمع جمهور المنظرين على أن الترجمة الأدبية من أصعب أنواع الترجمة، بل يذهب بعضهم إلى حد القول" أن أول شرط يخطر إلى أذهاننا أن المترجم الذي سيكون إنتاجه أثرا أدبيا يحاكي الأثر المترجم، يجب أن يكون هو نفسه أديبا راسخ القدم في التأليف الأدبي ولا يكفي أن يكون ملما أحسن الإلمام باللغتين، فالأدب روح واستعداد وسليقة وهذه أشياء تستند إلى طبع في النفس ولا تكتسب" (عوض،1986: 29) فالأديب يتعامل مع اللغة تعاملاً خاصاً تطغى فيه الوظيفة الشعرية للخطاب la fonction poétique بهدف التأثير في القارئ وإثارة مشاعره وهذا ما يجعل الخطاب الأدبي، على اختلاف أجناسه، يتسم بنوع من الذاتية ويكتسب في الوقت ذاته جمالية لطالما سعت الدراسات النقدية منذ القدم إلى تحديد هويتها والمبادئ التي يعتمدها الكاتب لإضفائها على نصه حتى يجعله متميزاً عن باقي النصوص غير الأدبية.

وتعكس اللغة التي يوظفها الأديب شخصيته و نظرته الخاصة للعالم كما يمثل التوظيف الخاص و المتميز لمفردات اللغة وتعبيراتها أسلوب النص الأدبي، إذ "لا يكون الأدب أدباً إلا بخروج الكلمات عن دلالاتها اللغوية وشحنها بفيض من الصور والأخيلة" (الديداوي، 1992: 276)

ولا يكتفي مترجم النّص الأدبي بنقل ثقافة أخرى وجوّ آخر، بل هو مطالب كذلك بنقل الأسلوب الشّخصي لكاتب النّص الأصل الذي قد يعبّر عن ما يخالجه مستعملاً تعابير اصطلاحيّة كثيرة. فهل يعقل أن تعبّر شخصيّات قصّة ما مثلاً عن أغراضها بتعابير لا تمت بصلة لبيئتها وثقافتها؟

انطلاقاً من هذه الفكرة، يمكن للمترجم أن يعتمد على تقنيّة ترجميّة أخرى، ألا وهي النّسخ. إذ يمكّن النّسخ التّعبيري من احترام غرابة النّص كما أنّه يوحي لقارئه بالإحساس بالغربة dépaysement ويثير فضوله للاطّلاع على ثقافة النّص الأصل. وتلتحق هذه الآراء بتيّار أسلوب التّغريب في التّرجمة étrangeté الذي يصبّ اهتمامه على لغة النّص المصدر ومضمونه(كابرا ،2011) [على الخط].

ولكن بين أسلوب التّكافؤ الذي يرغم شخصيّات النّص الأصل على استخدام تعابير غريبة عن بيئتها وثقافتها، وأسلوب النّسخ الذي يجبر قارئ النّصّ المترجم على بذل مجهود جبّار لفهم ثقافة الغير، تقول كابرا (المصدر نفسه) ، بضرورة التّعامل مع ترجمة التّعابير الاصطلاحيّة وتحليلها حالة بحالة لإيجاد حلّ مناسب حسب طبيعة النّصّ والمتلقّي والسّياق.

وعلاوة على ذلك، توجد اعتبارات أخرى يتعيّن على المترجم أن يهتمّ بها مثل فئة القرّاء أو الوسط الذي يستهدفه المترجم لتجنّب سوء الفهم أو التّأويل. وبما أنّ التّرجمة الأدبيّة يجب أن تكون وفيّة للنّص الأصل، أي أن تعيد إنتاج أسلوبه ومستوياته اللّغويّة، لا يمكن للمترجم أن يغيّر العوامل الاجتماعيّة الثّقافيّة للنّص وفقاً لقرّائه إذ يمكن أن يؤخذ ذلك على أنّه حكم قيمة نوعي للجمهور المستهدف.

وفي هذا المجال ترى كابرا (المصدر نفسه) أنّ أسلوب النّسخ، وإن كان غير مستحبّ عموماً، فإنّه في بعض الأحيان فعّال في ترجمة التّضمينات الثّقافيّة وأحياناً أخرى يكون الحلّ الوحيد الممكن في حالات تفاعل التّعابير الاصطلاحيّة مع النّص أو في حالات التّلاعب بالألفاظ. ففي هذه الحالات يتعيّن على المترجم أن يأخذ في الحسبان الأسلوب المناسب والعادات اللّغويّة لقرّائه حتى لا يكون النّص المترجم صعباً أو غير مفهوم، وسيرى أنّ هناك عوامل أخرى أهمّ من الجمهور المستهدف يجب عليه أن ينتبه إليها في النّصوص الأدبيّة. ويتعلّق الأمر بالشّكل الذي وردت ضمنه هذه التّعابير الاصطلاحيّة.

وفي هذا السياق، أحصت كابرا ثلاث حالات مختلفة لورود التّعابير الاصطلاحيّة في النّصوص عموماً، والنّصوص الأدبيّة بصفة خاصّة، مقترحة حلولاً ترجميّة خاصّة بكلّ حالة، وهي:

-تعابير موجودة في شكلها المعياري Les expressions se présentant sous leur forme canonique
-تعابير مرتبطة بالنّص المجاور لها Les expressions insérées
-التّعابير الاصطلاحيّة والتّلاعب بالألفاظ dans le co-texte Les expressions et les jeux de mots

1.1.4. تعابير موجودة في شكلها المعياري:

تمثّل هذه الحالة، بلا شكّ، أبسط حالة لترجمة التّعابير الاصطلاحيّة، حيث يتعلّق الأمر بتعابير وردت في شكلها المعتاد و لا ترتبط بالنّص إلاّ من الجانب النّحوي، فيمكن للمترجم هنا أن يختار بين أسلوبي التكافؤ أو النّسخ التعبيري، وهذا حسب التّوجّه التّرجمي الذي يعتمده ويراه مناسبا. ففي مقابل التّعبير الفرنسي " l'épée de Damoclès" الذي يستخدم للدّلالة عن الخطر المحدق، يمكن للمترجم العربي أن يستحضر من ثقافته المكافئ الأقرب له كقولهم "سيف الحجاج" لما يحمله من تضمينات مماثلة توحي بالبطش والتهديد أو أن يعتمد أسلوب النّسخ التعبيري كقوله " سيف داموكليس" على أن يضيف تعقيباً بعد التّعبير المنسوخ أو حاشية في أسفل الصفحة لتقريب المعنى من القارئ. ذلك أن أسلوب النسخ يقحم جملا غريبة وغير مفهومة لدى قارئ التّرجمة لأنّه يجهل غالباً مرجعيّتها الثّقافيّة.

و قد يحجم المترجم أحيانا عن توظيف أسلوب التكافؤ لتفادي الوقوع في المحرمات والمحضورات احتراما لذائقة القارئ وآداب مجتمعه. وكمثال على ذلك نذكر في اللغة الإنجليزية قولهم "hell knows" (حرفياً: الجحيم يعلم) الذي يستعمله المتحدث الإنجليزي هو في حالة غضب بمعنى أن لا أحد يعلم ما قد يحدث لاحقاً أو في المستقبل. وهو تعبير لا يستسيغه القارئ العربي وينفر منه باعتباره شائن بل واستخفاف بالمقدّسات لأنّ الله وحده

من يعلم الغيب وما يخفى. ولهذه الأسباب، لا يقبل في هذا السّياق إلاّ الجمل: "العلم لله/ الله أعلم أو علمها عند ربّي...".

وفي أحيان أخرى، يؤثر المترجم تقديم شرح لمعنى التعبير قيد الترجمة لاعتبارات أخرى تتعلق بمستواه اللغوي أو لانعدام المكافئ في اللغة المنقول إليها. وبها الصدد، سنذكر على سبيل المثال، جملة مستخرجة من رواية L'imposture des Mots (2002) لمؤلفها *ياسمينة خضرا* نوضح من خلالها القيود التي تكبل المترجم و العمليات الذهنية التي يقوم بها في سبيل الوصول إلى ترجمة جيدة تلقى قبول القارئ وتفاعله معها.

-Le bien n'a jamais triomphé du mal, c'est le mal qui finit toujours par **jeter l'éponge,** lassé de ses excès (Khadra, 2002 :12).

يشير التّعبير الاصطلاحي المتداول jeter l'éponge (حرفيّاً: يرمي الإسفنج) إلى التّخلّي عن الأمر واعتزاله (بوتي لاروس،2008: 380) أو بتعبير آخر الاستسلام والانسحاب من المواجهة. وقد أُخذ هذا التّعبير من مجال رياضة الملاكمة حيث يستعمل المدرّب الإسفنج (المنشفة حاليّاً) لمسح وجه الملاكم عند نهاية كلّ جولة لإزالة ما فيه من عرق أو دم، كما يمكنه أن يُلقي بها على الأرض طلباً لتوقيف النّزال إذا رأى أنّ الملاكم خائر القوى أو مصاباً إصابة تحول دون تمكّنه من مواصلة النّزال. وتعتبر هذه الحركة تنازلاً وانسحاباً. وقد عثرنا في أساس البلاغة للزّمخشري (1998) على عدد من التّعابير الاصطلاحيّة التي ترمز إلى الإعراض عن الشّيء كقولهم: "ثنى عنانه عن الأمر" و"لوى برأسه" و"لوى عذاره" وعذار اللّجام هو ما تدلّى من اللّجام على خدّ الفرس (المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة،2001: 960) و"فلان ختم على الأمر بابه" و"أرخى له الطّول" و"أشاح بوجهه" و"ضربت عنه جِروتي" والجِروة هي النّاقة الصّغيرة و"رماه بأحقاف رأسه" والأحقاف جمع حقف وهي التّلال العظيمة من الرّمل معوجّة (المصدر نفسه، مادّة حقف) و"طوى كشحه عن الأمر" أي ترك وقاطع والكشح هو الجزء ما بين السّرّة والظّهر من الجسم أو ما بين الضّلوع والخاصرة (المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة،2001: 1233) و"نبذ الأمر وراء ظهره" وغيرها، إلاّ أنّ المستوى السّامي والفصيح لهذه التّعبيرات كلها يجعلها غير ملائمة للتّعبير الفرنسي الذي ينتمي إلى مستوى الكلام المحكي الشّائع، كما أنّها مهجورة في معظمها ممّا يؤدّي إلى استغلاق معناها على المتلقّي.

وفي هذه الحالة، وأمام غياب تعبير اصطلاحي مكافئ ينتمي إلى ذات المستوى اللّغوي للتّعبير الفرنسي، فضّلنا أن نتقرّب من ذهن القارئ من خلال توظيف فكرة الانسحاب التي تؤدّي المعنى العميق الذي أراده الكاتب واقترحنا الترجمة التالية:

-"الخير لم يغلب الشّر قطّ، فالشّر ينتهي به المطاف دائماً إلى الانسحاب مثقلاً بإفراطه".

2.1.4. تعابير مرتبطة بالنّص المجاور لها:

إنّ التّعبير المرتبط بالنّص المجاور له يخلق، من خلال الإحالة الدّلاليّة بين عناصر التّعبير والحقل الدّلالي للنّص المحيط به، نوعاً من الإبداع الأسلوبي أو التّأثير الهزلي لأنّه يشدّ انتباه القارئ إلى معناه الحرفي. وتقوم هذه العمليّة جزئيّاً على أساس إلغاء الطابع المجازي للتّعبير la démétaphorisation بحيث يتم إبراز معنييه الحرفي والاصطلاحي.

ونورد فيما يلي أمثلة مستخرجة من ذات الرواية، لغرض توضيح مفهوم النص المجاور le cotexte في المجال التّطبيقي وتقديم فكرة حول ترجمة التّعابير الاصطلاحيّة المدرجة فيه:

1-"Je n'étais pas insensible aux frissons de l'ivresse. Cependant, il m'importait de mettre un peu d'eau dans mon vin." (Khadra, 2002 :29)

ويقصد بالتّعبير الاصطلاحي "mettre de l'eau dans son vin"(حرفيا: يضع الماء في نبيذه) الاعتدال أو الحدّ من شدّة الطّموح أو المطالب وغيرها. ويقابله في اللّغة العربيّة مثلا قولهم "يكبح جماحه". والملاحظ في هذا المثال أنّ التّعبير الاصطلاحي المذكور لم يرد في شكله المعياري، بل جاء مدرجا ضمن محيط النّص الذي هو في هذه الحالة كلّ الجملة التي يحيل إليها التّعبير ويرتبط بها.

وتضع هذه الحالة المترجم أمام صعوبات أكبر، بحيث لم يعد الاختيار بين التّرجمة بأسلوب التّكافؤ أو بأسلوب النّسخ مرتبطاً بالتّيّار الذي يعتمده المترجم أو يفضّله، بل بالإمكانيّة الفعليّة لتقديم ترجمة مرضية تؤدي مقاصد الكاتب وتقلص من هامش الخسارة قدر الإمكان.

وبما أنّ التّرجمة بأسلوب التّكافؤ تعني البحث عن المكافئ الطّبيعي الأقرب للتّعبير الأصل في لغة الوصول، فيتعيّن على المترجم في هذه الحالة بالذّات أن يجد في اللّغة الهدف تعبيراً مكافئاً له نفس العناصر الدّلاليّة ثمّ أن يُخضعه لذات الإستراتيجية الخطابيّة التي استعملها الكاتب الأصلي لتحقيق نفس الإبداع الأسلوبي (كابرا ،2011) [على الخط]. وإن كان تحقيق ذلك ممكن أحياناً عند الانتقال بين اللّغات القريبة ثقافيّاً، فإنّه فيما يخصّ اللّغات البعيدة حضاريّاً مثل الفرنسيّة والعربيّة صعب للغاية بل ومستحيل في الكثير من الأحيان. وفي هذه الحالة، أي عندما لا تتوفر اللغة المنقول إليها على المكافئ التّام correspondant total، لا يمكن للمترجم أن يلجأ إلى مكافئ جزئي أيضاً correspondant partiel لأنّ توظيف أي مكافئ غير تام يُفقد إحالة التّعبير إلى النّص المدرج فيه.

وفي هذا الإطار، تقترح كابرا (2011) [على الخط] حلّين عمليّين لتذليل هذه الصّعوبة:

يتمثّل الحلّ الأوّل في إعادة كتابة النّص المجاور للتّعبير إن كان النّص الأصلي يسمح بذلك، أي إن لم يكن التّعبير الاصطلاحي قيد التّرجمة ذو أهميّة بالغة بالنّسبة للخطاب. فيمكن للمترجم عندئذ أن يتصرّف بتغيير دلالة النّص المجاور للتّعبير حتّى يتسنّى له أن يدرج تعبيراً مكافئاً ينتمي إلى حقل دلالي مختلف. واستناداً إلى الحلّ المذكور، فقد اقترحنا في مقابل الجملة الفرنسية مايلي:

-"لم أكن غير مبال أمام نشوة الجموح، غير أنني كنت حريصاً على أن أشدّ العنان ".

وقد أعدنا في ترجمتنا كتابة النّص المجاور للتّعبير، حيث استبدلنا فكرة "السُّكْر l'ivresse" وما يفعله بالإنسان من اختلاط في العقل وفقدان للسّيطرة على النّفس، بفكرة الجموح التي تبعث في أذهاننا صورة الحصان أو الفرس الجامح الذي يعصي صاحبه ويخرج عن سيطرته، لنتمكّن عندئذ من إدراج التّعبير المكافئ "شدّ العنان" الذي يؤدّي معنى التعبير الفرنسي ويحيل إلى ما سبقه أي إلى النّص المجاور له.

وفيما يلي مثال آخر لتوضيح الفكرة أكثر:

2- Si tu est venu chercher **une place au soleil**, à Paris le soleil est un intrus (Khadra, 2002 :63).

يُقصد بالتّعبير se faire une place au soleil (حرفيّاً: يجعل لنفسه مكاناً في الشّمس) النّجاح في الحياة والعيش في نعمة وخصب وسعة حال إذ يربط الفرنسي إطلالة الشمس ودفئها بسَعة العيش والتّنعّم بالحياة الرّغدة لما يميز الطقس الأوروبي عموما من برودة وكثرة الأمطار. وقد أبدع ياسمينة خضرا في توظيفه عندما ربطه بالنّص المجاور له أي الشّطر الثّاني من الجملة التي أزالت الجمود عنه défigement وألقت الضّوء على معناه الحرفي. وفي هذه الحالة لا يمكننا أن نكتفي بالبحث عن تعبير مكافئ له في اللّغة العربيّة بل ينبغي أن نفكّر في تعبير مكافئ تمكّن عناصره الدّلاليّة من ربطه بالنّص المتاخم له حتى وإن اقتضى الأمر إحداث بعض التّغيير في هذا الأخير بغرض إعادة بناء ذات الإبداع الأسلوبي وإحداث نفس التّأثير لدى قارئ التّرجمة.

وعلى هذا الأساس، يمكننا أن نفكّر في التّعبير "مستقبل/ غد مشرق" كقولهم "يتطلّع إلى غد مشرق" فهو يراعي المعاني الإيجابيّة للتّعبير الفرنسي الذي نحن بصدد ترجمته ويحفظ عناصره الدلالية ، كقولهم على سبيل

المثال" الجانب المشرق" أي الجيّد والحسن، وقولهم "فلان مشرق الوجه" ومعناه جميل يتلألأ حسناً وقولهم "إشراق الذّهن" أي توقّده. وبعد ذلك نقوم بتعديل النّص المتاخم له تعديلاً يجعل الإحالة إليه ممكنة من جهة ويمكّن من نقل الإبداع الأسلوبي الذي أراده ياسمينة خضرا من جهة أخرى. كأن نقول مثلاً:" إن أتيت تبحث عن مستقبل مشرق، فإشراق الشّمس دخيل على باريس". وبهذا الحلّ نكون قد أبقينا على الاصطلاحيّة، وحافظنا على علاقة التّعبير الاصطلاحي بالنّص المتاخم له.

ويمكننا كذلك أن نتوخّى البساطة في ترجمتنا، كأن نبحث، في مقابل التّعبير الاصطلاحي الفرنسي، عن صيغة يفهمها القارئ العربي ويستسيغها وإن كانت تخلو من الاصطلاحيّة. فنحن نرى أنّ ترجمة التّعابير الاصطلاحيّة لا يمكن لها أن تنحصر في مجرّد البحث عن المكافئات خصوصاً إذا وظّف التّعبير الاصطلاحي توظيفاً خاصّاً كما هو الحال في النّموذج الذي نحن بصدد تحليله. ويعود ذلك بالدّرجة الأولى إلى المعايير والشّروط المختلفة التي يجب مراعاتها عند ترجمة التّعابير الاصطلاحيّة كاحترام السّجلّ اللّغوي، ومدى شيوع التّعبير وتواتره في الاستعمال و توافقه مع ثقافة المتلقّي وديانته وآداب مجتمعه.

وفي هذا السّياق، رأينا أن نترجم التّعبير الاصطلاحي chercher une place au soleil بعبارة " يريد أن يصبح نجماً"، مع تعديل النّص المجاور له تعديلاً يسمح بالإحالة إليه، فنقول مثلاً "سماء باريس لا تحبّ النّجوم". ومع أنّ هذه التّرجمة تتّسم بالبساطة في الأداء باعتبار أنّها لم تراعي اصطلاحيّة التّعبير الفرنسي، إلاّ أنّها أقرب إلى التّأثير في ذهن القارئ لأنّها تحفظ معاني الصّدّ والرّفض التي تحملها كلمة intrus. واقترحنا الجملة:

-"إن أتيت لتصبح نجماً، فسماء باريس لا تحبّ النجوم".

أمّا إذا كانت العناصر الدّلاليّة التي يقوم عليها التّعبير ذات أهمية بالغة بالنّسبة للنّص الأصلي، تنصح كابرا(المصدر نفسه) بالحلّ الثّاني والمتمثّل في نسخ التّعبير قصد الحفاظ على علاقته التّصويريّة مع السّياق العام للنّص الأصلي.

3.1.4. التّعابير الاصطلاحيّة والتّلاعب بالألفاظ :

يذكّر الطّابع الفكاهي القائم أساساً على تأويلين محتملين للتّعبير، دلالات وإيحاءات ثقافيّة ليست لها بالضرورة مكافئات في لغة أخرى. وبهذا الشّأن، تدرج كابرا الحلول التي اقترحها أهل الاختصاص ضمن أسلوبين وهما: الأقلمة l'adaptation وإعادة الإبداع recréation .

أمّا في أسلوب الأقلمة، فيختار المترجم تعبيراً مكافئاً في لغة الوصول ثمّ يخضعه لنفس إستراتيجية إلغاء الطّابع المجازي أو لإستراتيجية مشابهة لها. كما يمكنه كذلك أن يبني عمليّة التّلاعب بالألفاظ على أساس تعبير اصطلاحي آخر يسمح بإجراء التّحويل الهزلي. وهو في هذه الحال لا يعيد كتابة النّص وإنّما يقوم بأقلمة عبارة أو جملة لإنتاج تلاعب لفضي يتوافق وثقافة اللّغة الهدف.

وكمثال على ذلك، تقدّم كابرا (المصدر نفسه) الجملة التّالية:

"la gaillarde à biceps, qui n'avait pas froid aux yeux ni ailleurs"

واعتمادا على ما سبق نقترح في مقابل هذه الجملة ما يلي:

"المرأة الجسور القويّة التي **لا ترفّ لها عين** ولا يقشعرّ لها بدن ". (ترجمتنا)

لقد حاولنا أن نحافظ في ترجمتنا على معاني الجرأة والوقاحة بفضل تعبير اصطلاحي مكافئ "لا ترفّ له عين"، قائم على أحد العناصر الدّلاليّة للتّعبير الأصلي وهي "العين" في مقابل "yeux". إلا أن إضافة الشّطر الثاني من الجملة"ولا يقشعّر لها بدن"، أدّت إلى إلغاء مجازيّة التّعبير الاصطلاحي وتسليط الضّوء على معناه

الحرفي. وبهذا نكون قد حافظنا، من خلال أقلمة الجملة، على معنى التّعبير واصطلاحيّته من جهة وعلى الفكرة الهزلية من وراء التلاعب بالألفاظ من جهة أخرى.

وفيما يلي نقدم مثالا ثان مستخرج من ذات الرواية لياسمينة خضرا لتوضيح الصورة أكثر:

-**La langue de bois** fleurissait aux quatre saisons, et malheur aux braconniers ! (Khadra, 2002 :31).

يقصد بالتّعبير langue de bois (حرفيّاً: اللّغة الخشبيّة) أسلوب تعبيري جاف يكثر فيه استعمال القوالب والتّعبيرات الجاهزة وعادة ما نجده في مجال السّياسة (بوتي لاروس،2008: 578). وتعرف لغة الخشب بأنّها ذلك النّوع من الخطابات الجوفاء التي تخدم إيديولوجية زائفة من خلال التّمويه وتزييف الحقائق لتغليط الرّأي العام. وقد تسرّب النّسخ التّعبيري "لغة الخشب" إلى اللّغة العربيّة وبات مفهوماً ومتداولاً ولا حرج من استخدامه. إلاّ أنّ ياسمينة خضرا وظّف هذا التّعبير توظيفاً خاصّاً بحيث ألحق به جملة تلقي الضّوء على معناه الحرفي دون أن تلغي معناه الاصطلاحي تماماً وهذا ضمن قالب تهكّمي هزلي، إذ يقوم هذا التّلاعب اللّفظيّ السّاخر على أساس ازدواجيّة معنى التّعبير langue de bois الحرفي والاصطلاحي.

والملاحظ كذلك أنّ اعتماد النّسخ في نقل التّعبير الفرنسي والحرفيّة في نقل النّص المحيط به يؤدي إلى إسقاط التّلاعب اللّفظي من خلال القضاء على العلاقة التي تربط بين التّعبير الاصطلاحي "la langue de bois" ونصّه " ! et malheur aux braconniers" ففي النّص الفرنسي، ترتبط فكرة الصّيد المحظور le braconnage بمعنى الغابة الذي تحمله كلمة le bois أي مكان الصّيد، على عكس النّص العربي حيث تغيب هذه العلاقة، بغياب معنى الغابة في كلمة "الخشب"، وتضيع معها إمكانيّة بناء اللّعبة الكلامية على الأساس ذاته.

وحيال هذه الصّعوبة، ما من خيار أمامنا سوى أن نتصرّف ونجتهد لإبداع تلاعب لفظي مكافئ يقوم على أساس ازدواجيّة المعنى ويتوافق واللّغة العربيّة وعبقريتها كأن نحلّ مثلاً التّعبير العربي "شقّ العصا" محلّ "les braconniers". وقد جاءت كلمة شقّ من الشّق أي الصّدع، كما ورد في لسان العرب (مادّة شقق) قولهم "شقّ فلان عصا الطّاعة" أي تمرّد وخالف، وقيل "شقّ فلان عصا الجماعة" أي فرّق كلمتها وخالفها. ونرى أن هذا التعبير يؤدّي معناه الاصطلاحي فكرة التّمرّد والمخالفة ويلقي معناه الحرفي الضّوء على فكرة كسر الخشب (وهو هنا اللّغة الخشبيّة) ممّا يسمح بالإبقاء على السّخريّة والإبداع اللّذان أرادهما خضرا. ومنه فإنّنا نقترح ما يلي:

- "فلغة الخشب تزهر في كلّ الفصول، والويل لمن يشقّ العصا".

وأمّا في أسلوب إعادة الإبداع، فعلى المترجم أن يبتكر تلاعباً لفظيّا آخر قد يقوم على أساس تعبير اصطلاحي أو غير اصطلاحي. مع أنّ الأصل هو إيراد تعبير اصطلاحي، وإن كان مغايراً، للإبقاء على الغموض و ازدواجيّة المعنى إلا أنّ هذا الحلّ لا يكون ممكنا في جميع الأحوال.

خاتمة:

وفي نهاية هذه المداخلة البسيطة، نود أن نؤكد أنه لا يكفي لمن يتصدّى لترجمة التّعابير الاصطلاحيّة أن يتحكّم في دقائق اللّغتين المنقولة والمنقول إليها ، بل لا بد عليه أن يتمتّع بثقافة واسعة في اللّغتين. ثقافة تمكّنه من التّعرّف على التّعابير الاصطلاحيّة في لغة مختلفة عن لغته وفهمها وإدراك تضميناتها ومستواها اللغوي، ليكون قادراً على استحضار المكافئات التي تحقّق لدى قارئ التّرجمة ذات التّأثير الذي تركه الأصل في قارئه.

ومع ذلك، لا يمكن لترجمة التّعابير الاصطلاحيّة، أن تنحصر في مجرّد البحث عن المكافئات في لغة الوصول لا سيما إذا تعلق الأمر بترجمة النصوص الأدبية لأنها تكتسي فيها خصائص تعبيرية وتؤدي وظائف جديدة تسهم في بناء النص الأدبي وتقرّب المؤلّف من قارئه. فهناك معايير إضافيّة ينبغي على المترجم أن يتفطّن إليها وأن يأخذها بالحسبان مثل كيفيّات توظيف التّعابير الاصطلاحية و أنماط ورودها في النص وبالخصوص في

النص الأدبي ذي المرجعية الثقافية العالية حيث يضحي أسلوب النسخ التعبيري أحيانا أحسن حل دون أن ينسى مراعاة ذائقة قارئ الترجمة ومعتقداته الدّينيّة وآداب مجتمعه.

وخلصنا أنّه لا يجوز للمترجم أن يتقاعس عن ترجمة التعابير الاصطلاحية لما تكتسيه من أهمية في عملية التواصل لأن ترجمتها تبقى ممكنة عموما بين لغتين متباعدتين ومختلفتين على الكثير من الأصعدة كالفرنسيّة والعربيّة على الرّغم من الصّعوبات والمعوّقات التي تقف في وجه المترجم. فبإمكان المترجم أن يقدّم ترجمة مرضية حتّى وإن تعذّر إيجاد المكافئات في اللّغة المنقول إليها. وهو يحتاج في ذلك أن يتسلّح بقدراته اللّغوية و الإبداعيّة وبموروثه الثّقافي وأن يتصدّى لنقل التّعابير الاصطلاحيّة بصبر وهمّة وذكاء ليصوغ في لغة قارئة أفكار الكاتب وثقافته وما جادت به قرائحه في أسلوب يشدّه ويمتعه ويحقّق تفاعله دون غموض أو تحريف.

قائمة المراجع:

المعاجم العربية:

-أبو سعد، أحمد، 1987. *معجم التّراكيب و العبارات الاصطلاحيّة العربيّة القديم منها و المولّد*، دار العلم للملايين، بيروت.
-*المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة*، 2001.ط2، دار المشرق، بيروت.

المعاجم الأجنبية:

- DUBOIS, Jean et al, 1994. *Dictionnaire de linguistique*, Larousse, Paris.
- FLAUBERT, Gustave ,1913. *Dictionnaire des idées reçues*, éditions Conard, Paris.
- *Le Petit Larousse*, 1986. Librairies Larousse, Canada.

الكتب:

باللغة العربية:

-أبوزلال، عصام الدين عبد السّلام، 2005. *التّعابير الاصطلاحيّة بين النّظريّة والتّطبيق*، دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنّشر، الإسكندرية.
-الدّيداوي، محمد ، 1992.*علم الترجمة بين النظرية والتطبيق*، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس.
-الزّمخشري، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، 1998. *أساس البلاغة*. دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.
-عمر، أحمد مختار، 1993. *علم الدّلالة*، ط4، عالم الكتب،القاهرة.
-عوض، محمد،1986. *فن الترجمة*. دار النهار، بيروت.
-المسدي، عبد السلام، 2014. *الأسلوبية والأسلوب*، ط 6، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.

باللغة الأجنبية:

-ALBALAT, Antoine, 1899. *L'art d'écrire enseigné en vingt leçons*, Armand Colin et Cie, éditeurs, Paris.
-GHAZALA, Hassan, 2004. *Essays in translation and stylistics*, éditions Dar El-Ilm Lil Malayin, Beirut, Liban.
-GROSS, Gaston, 1996. *Les expressions Figées en Français*, éditions OPHRYS, Paris.
-KHADRA, Yasmina, 2002. *L'imposture des Mots*, éditions Sédia, Algérie.
-LEDERER, Marianne et SELESKOVITCH, Danica, 1984. *Interpréter pour Traduire*, Didier Erudition, Paris.
-NIDA, Eugene Albert and TABER Charles, 1969. *The Theory and Practice of Translation*, Leiden.

المجلات والدوريات باللغة الأجنبية:

-GROSS, Gaston, 1997. Du bon usage de la notion de locution, In MARTIN-BALTAR, Michel. *La locution entre langue et usage*, ENS éditions, Paris, (p.201-225).

المراجع الإلكترونية:

-CAPRA, Antonella, 2011. Traduttore traditore: de la possibilité de traduire les expressions figées. *Revue interdisciplinaire « textes et contextes »*, n°5, 2010. [En ligne]. Consulté le 10/10/2015. Disponible sur : <http://revuesshs.ubourgogne.fr/textes&contextes/sommaire.php?id=940>

-DURIEUX, Christine, 2008. Mettre la main sur le figement lexical : La démarche du traducteur. *Meta : journal des traducteurs*, vol. 53, n° 2, 2008, p. 324-333. [En ligne]. Consulté le : 07/07/2015.Disponible sur :<http://id.erudit.org/iderudit/018522ar>

-MEJRI, Salah, 2008. Figement et traduction: Problématique Générale. *Meta : journal des traducteurs*, vol. 53, n° 2, 2008, p. 244-252. [En ligne]. Consulté le : 15/02/2015.Disponible sur :<http://id.erudit.org/iderudit/018522ar